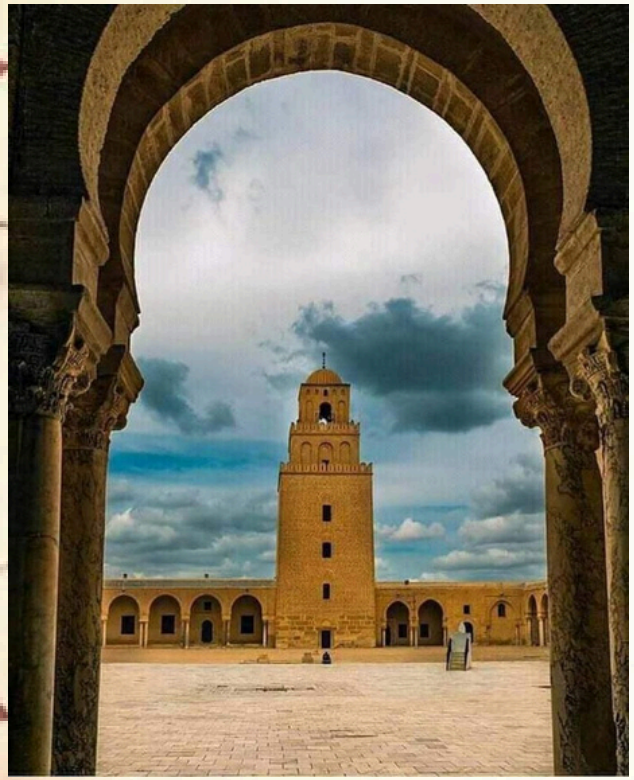

أشرقت شمس يوم الربيع الدافئ، فاجتمعنا أمام باب المدرسة والبهجة تملأ قلوبنا. ركبنا الحافلة ونحن نردد الأناشيد، وما هي إلا ساعات قليلة حتى بدأت تلوح لنا في الأفق صوامع مدينة القيروان الشامخة، وكأنها تحرس التاريخ بين أسوارها العتيقة.

كانت محطتنا الأولى جامع عقبة بن نافع الكبير. عند وقوفنا أمام بابه العظيم، ذهلنا بضخامة البناء وهيبة المكان. تجولنا في صحنه الفسيح المرصوف بالرخام الأبيض الذي يعكس أشعة الشمس، وتأملنا مئذنته المربعة الفريدة التي صمدت لقرون. أما من الداخل، فقد كانت الغابة من الأعمدة الرخامية والسقف الخشبي المزخرف تحكي قصة حضارة إسلامية عريقة بدأت من هنا.

انتقلنا بعد ذلك إلى فسقيات الأغالبة، وهي أحواض مائية ضخمة صممها الأجداد بذكاء لجمع مياه الأمطار. وقفنا مندهشين أمام قطرها الشاسع وهندستها الدائرية المحكمة، حيث أدركنا كيف استطاع القيروانيون قديماً تحدي شح المياه بعبقرية قل نظيرها.

لا تكتمل الرحلة دون التجول في المدينة العتيقة. سرنا في أزقتها الضيقة الملتوية ذات الجدران البيضاء والأبواب الزرقاء المزينة بالنقوش. استقبلتنا رائحة "المقروض" القيرواني الساخن يفوح منه عبق التمر والعسل، ورأينا الحرفيين وهم ينسجون "الزربية" القيروانية الشهيرة بألوانها الزاهية وأشكالها الهندسية الدقيقة.

مع حلول المساء، غادرنا المدينة وقلوبنا معلقة بجمالها. لم تكن مجرد رحلة مدرسية، بل كانت درساً حياً في الفخر بوطننا وتاريخه المجيد. عدنا والحافلة تضج بالحديث عن "عاصمة الأغالبة"، حاملين معنا صوراً وذكريات ستظل محفورة في أذهاننا إلى الأبد.